# المبحث الثاني

## التناص

إن النص الأدبي في أي جنس تشارك في تكوينه العديد من المرجعيات والنصوص القديمة والحديثة والمعاصرة سواء من الدين، أم الفلسفة، أم الشعر، والأدب بالإضافة إلى تجربة الأديب ذاته الذي يخلق لنا نتيجة لكل ذلك نصاً جديداً فيه روح الأشياء التي ذكرناها جميعاً. لذلك نجد أن القاص "محيي الدين زنكنة" تأثر في نصوصه القصصية بنصوص أخرى أيضاً، سواء كانت نصوصاً أدبية، أم دينية، أم تاريخية وغيرها من النصوص.

كان الكاتب "محيي الدين زنكنة" على اطلاع واسع وقراءات أدبية عالمية ومحلية واسعة، ومعرفته، وله اطلاع عميق على القرآن الكريم، وسيرة الرسول "صلى الله عليه وسلم"، وكان يعرف الكثير من الأقوال والأمثال والحكم، والتناص الاقتباسي إذ يكون في النص ما يدل على معنى جديداً وهذا النوع من الاقتباس نجده في قصصه القصيرة لاسيما في الحوار الموجود داخل القصص.و استخدام التناص مع النص التأريخي والديني ولأدبي ليخدم بهما النص الجديد فنياً وتكون الفكرة منسجمة مع السياق والمعنى العام للقصة.[1]

إن التناص الموجود في حوارات قصص زنكنة القصيرة على ثلاثة أقسام :أولاً: التناص مع القرآن الكريم، ثانياً : التناص مع خطبة الرسول"ص" وثالثاً: التناص مع الأمثال والحكم. إلا أن نصوصه القصصية مليئة بأنواع شتى من التناصات سواء كانت دينية، أم أدبية إلا أننا نتطرق إلى ما هو موجود داخل النصوص الحوارية فقط.

(1) ينظر: التجريب في القصّة العراقية القصيرة، حسين عيال عبد علي، 80.

## أولاً: التناص مع القرآن الكريم:-

في قصة "الليل والمطر" نجد في حوار داخلي لبطل القصّة إقتبس القاص على لسان البطل من القرآن الكريم هذه الآية الكريمة في قوله تعالى:-

﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾. (1)

إن دلالة الآية الكريمة تدل على ((أن "مِن كَيْدِكُنَّ")) من حيلتكن والخطاب لها ولأمثالها أو سائر النساء." إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ " فإن كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيراً في النفس، ولأنهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة)).(2)،ويظهر ذلك في الحوار الداخلي للبطل "عبد الله" عندما قال في ذهنه:-

((عبد الله: (إن كيدهنّ عظيم)...)).(3)

إن استخدام القاص لهذه الآية من القرآن الكريم كان ملائماً لحالة البطل النفسية وصراعه حول ارتكاب الخطيئة مع "زوجة أخيه" التي تحاول بطريقةٍ ما إغواءه وأن تجعله يرتكب الخطيئة ويخون أخاه الذي وثق به وأدخله إلى بيته.

إن البطل كان في الواقع إنساناً متديناً يخاف الله سبحانه وتعالى ولايريد أن يفعل أمراً كهذا مع زوجة أخيه، إلا أن "عبدالله" يعاني من صراع داخلي قوي بين

---

(1) سورة يوسف: آية 28

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ "تفسير البيضاوي"، ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار صادر،م1، ط2، بيروت، 2004، 484.

(3) قصة "الليل و المطر" من مجموعة "البواكير"، 128.

(*) قال ابن كثير(ت:774هـ) رحمه الله عن حجة الوداع: ((لأنه عليه السلام ودّع الناس فيها، ولم يحج بعدها. وسميت حجة الإسلام لأنه عليه السلام لم يحج من المدينة غيرها، ولكن حج قبل الهجرة مرات قبل النبوة وبعدها. وسميت حجة البلاغ لأنه عليه السلام بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً، ولم يكن بقى من دعائم الإسلام وقواعده إلا وقد بينه عليه السلام)). ينظر: البداية والنهاية،اسماعيل بن عمر بن كثير(ابن الكثير)،د.م، ج:5، 70. –وينظر:صحيح السيرة النبوية، ابراهيم العلي، دار النفائس،ط2، الأردن،1996، 525.

رغبته في النظر إلى زوجة أخيه وهي ترتدي ملابس مكشوفة للنوم، ففسر تصرفاتها على أنها تريد أن تراوده عن نفسه، وبين عقله الذي يذكره وينبهه أن لايفعل ذلك، لأنه شخص معروف بالاستقامة والنزاهة والأخلاق العالية.

وزادت هذه العبارة من تصورنا وفهمنا للقصة، كما أنه أراد أن يقول إن الشخصية – أي "عبد الله" – كان يعرف أمور الدين ويفرق بين الحلال والحرام، لأنه كان يلقب بـ"المُلا"، وأبوه كان شيخاً للجامع، وكان يحلم أن يكون في مكان أبيه يوماً ما. وهذا زاد من إصراره على تحمل الوضع وعدم السماح لرغبته واستجابته لإغواءات "زوجة الأخ"، فلا يريدأن يُغَيِر مسار حياته من الصواب إلى الخطأ، وأراد أن يصور لـ"زوجة الأخ" التي لها طرقها الخاصة للإيقاع به، وهي كانت شخصية ماكرة ولعوبة، أي حوّل المرأة من شخصية وفية ومخلصة تتميز بالحنان والعاطفة إلى شخصية خائنة وماكرة.

## ثانياً: التناص مع خطبة الرسول ( صلى الله عليه وسلم ):-

نجد في قصة "الفكاهة" إقتباساً مع خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، ويستخدمها القاص على لسان إحدى شخصيات هذه القصّة في حوار مع "الوالي".

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قدوة للمسلمين في إرشادهم وتبليغهم بكل ما ينزل عليه من الله سبحانه وتعالى. ربما أراد القاص أن يدمج بين هذه الفكرة - أي من يكون الأول – مثل الرسول عليه السلام في تبليغ ما ينزل عليه من الله سبحانه وتعالى، و"جنكيز" في تنفيذ أوامر"الوالي" عندما أصدر القرار بحلق رجال الولاية شعر رووسهم دون أي استثناء، وجاء التناص مع الخطبة في حوار "جنكيز" مسؤول الباشبوزغ عندما استأذن مولاه في أن يقول كلمته بمناسبة صدور هذا الأمر:-

((جنكيز: حين حرم الإسلام الربا، وقف الرسول الأعظم "صلى الله عليه وسلم"، وقال قولته الشريفة: وأول رباً أبدأ به هو ربا عمي العباس)).[1]

وبعد مدة من التفكير وسؤاله حول العلاقة بين الربا والشعر الطويل لم يجد له أي جواب فقال:-

((جنكيز: مولاي الوالي.. ليكن رسولنا الكريم قدوة لنا، ولنقل جميعاً وبصوت واحد " إن أول شعر أبدأ بقصه هو شعري)). [2]

أما خطبة الرسول فقد وردت بهذا الشكل: ((وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب))[3]. وكان الرابط بين قص الشعر وموضوع الربا يعود إلى أن الربا: هو الزيادة في قدر الدين مقابل الأجل والزيادة في الشيء نفسه، وإما مقابله كدرهم بدرهمين، لذلك حذر منه الشرع وحرمه الله سبحانه وتعالى ولا يسمح بالزيادة على الدين، وعُرف بـ"ربا الجاهلية".[4]، لأن الرسول بلغ الناس أن الربا حرام، وهو أمر منكر في الدين الإسلامي وأول ربا بدأ به هو ربا عمه عباس، أي بدأ الرسول بأهله ثم عامة الناس. وإن ما يربط موضوع الربا بالقصّة هو أن "الوالي" و" جنكيز" يرون أن الشعر زائد لذلك فهو حرام مثل الربا وعليهم أن يمنعوا الناس من هذا الفعل المنكر. ولكي يؤكدوا صدقهم في قولهم هذا عليهم البدء بانفسهم أولاً، ومادام رأس "الوالي" خالياً من الشعر، فلابّد من حلق رؤوس أعوانه وأهل الولاية، حتى تكون تلك الرؤوس خالية من الشعر.

لقد جاءت الخطبة على لسان الشخصية لكي يقول القاص إن "جنكيز" فكر في كيفية اقترابه من "الوالي" وليظهر أمامه في صورة الخادم المخلص المطيع الذي ينفذ أوامر سيده مهما كان نوع هذا الأمر. أي أراد مصلحته في التقرب من السلطة

(1) قصة"الفكاهة" من مجموعة "الأعمال القصصية/ المجلد الأول"، 255.
(2) م.ن، 255.
(3) خطب الرسول، مجدي محمد الشهاوي، المكتبة التوفيقية، د.م، 144.
(4)ينظر: الأقتصاد الإسلامي"المال-الربا-الزكاة"، طاهر حيدر حردان، دار وائل للنشر، الأردن، 1999، 101-102.

لذلك أصبح من نفسه وأن يكون قدوة لكل الرجال في المملكة، ولاسيما المنافسون له في المجال نفسه.

## ثالثاً: التناص مع الأمثال والحكم :-

إن استخدام الأمثال والحكم في حوار الشخصيات يدل على معرفة وثقافة الكاتب العميقة ويدل على كونه ذا إطلاع واسع على تراث شعبه. لأن المثل له((موقع الاسماع والتأثير في القلوب، فلايكاد يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها، لأن المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة)). [1]يعد المثل من أكثر الأشكال التعبيرية انتشاراً لما يحمل من معانٍ إنسانية، وتعكس لنا مشاعر الشعوب على اختلاف طبقاتها وانتماءاتها في صور حية. ويتسم المثل بسرعة الإنتشار والتداول بين الأجيال، وانتقاله عبر لغات مختلفة في مابين الشعوب، فضلاً على كثافته في المعنى، وايجازه في اللغة. لأنه يعبر عن الخير والشر، والسعادة والشقاء، وغيرها من الأمور. [2]

ومن الأمثال المثل الموجود في قصة "غيوم بلامطر" في حوار بطل القصّة "محمد" مع "المضيفة" في الطائرة عندما يقول:-

((محمد: ثمة من يجمع الطوابع.. وثمة من...

المضيفة: الأصدقاء.

محمد: ذكية. تتلقفها وهي طائرة هكذا نقول نحن في العراق عن الذكاء المفرط)).[3]

(1) الأمثال والحكم، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم أحمد، دار الوطن، رياض،1999، 23.

(2) ينظر: إنترنت: 20-4-2012، www.wikipidia.org.wik/ الأمثال.

(3) قصة"غيوم بلا مطر" من مجموعة"الجبل والسهل"، 225.

في هذا المثل العراقي دلالة على سرعة البديهة والذكاء من قبل المضيفة حين كشفت القصد وراء قول محمد بكلمة "الجمع". وفي قصة "الفكاهة" في حوار الشخصيات عندما قال "القاضي" والد "جميلة":-

((القاضي: صدقت، السواد لايعرف إلا بالبياض، ولابد أن يعمّ واحد منهما)).[1]

أطلق هذا المثل على أن الخير لايدرك إلا عن طريق الشر، ولايمكن أن يعرف من قام بتطبيق الفرمان ونفذ من العامة-أي لابد من حل -واتخاذ الأمر إما البقاء مع الشعر أو حلقه حتى يكون الوجه والرأس خالياً من سواد الشعرة.

وفي قصة "حكاية بلانهاية" نجد المثل الشعبي في تراث الشعب الكردي لمن ارتكب جرماً ما ويطلب منه أن يأتي بشاهد على براءته وصحة أقواله، لا يريد أن يدان ويعاقب ويريد أن يفلت منه، فيقال شاهد الثعلب هو"ذيله"وفي التراث الكردي يقال:-

((رِيَوى كآ شايةتة؟ وتى: كلكم))

وربما يكون هذا المثل موجوداً في التراث العربي أو ترجمه القاص إلى العربية، كما موجود في حوار رئيس المحكمة وهو "الديك" مع المتهم وهو "الثعلب" عندما يسأله:-

((الديك: ومن شهودك... يا...يا

وهم أن يقول.... يا ثعلب ولكنه استدرك... وقال كما ينبغي أن يقال.

الديك: أيها المتهم.

فأجاب المتهم... منتفخ الأوداج.... بتعال وغرور ونشوة وحبور:

الثعلب: ذيلي؟

الديك: ذيلك..))..[2]

(1) قصة "الفكاهة" من مجموعة "الأعمال القصصية/ المجلد الأول"، 257.
(2) قصة" حكاية بلانهاية" من مجموعة "الأعمال القصصية/ المجلد الأول"، 275-276.

هذا المثل يدل على ذكاء الثعلب ومكره وخداعه، لأنه بهذا الجواب لايثبت عليه أي شيء ويفلت من العقاب لما فعله. لأنه عندما يقول "ذيلي" فإنهم يحسبون كل شعرة موجودة على ذيله دليلاً وشاهداً وربما يكون أكثر من مليون شعرة.

ومناقشة تلك الأدلة كلها والشهود تستغرق وقتاً لايكون لها نهاية، وبهذا يخضع الطرف المقابل للقبول بأقواله وإطلاقه من الحبس، وإسقاط التهمة عنه وعدم ثبوتها عليه وهو دليل على أن الشخص الذي يعرف المكر والخداع ينجو بنفسه من العقاب.